مفهوم

القضم التدريجي
للوجود الصهيوني

W.A.R.C
West Asia Research Center

يتم تعريف مفهوم الردع الكلاسيكي بأنه التهديد بالقوة من أجل إثناء الخصم عن تنفيذ إجراء غير مرغوب. يمكن تحقيق هذا الهدف من خلال التهديد بالانتقام وهو ما أعلنته المقاومة الفلسطينية كرد على الانتهاكات الصهيونية لحقوق الفلسطينيين في القدس والمسجد الاقصى أو عن طريق إنكار قدرة الخصم على تحقيق أهدافه من الحرب، وهذه مسألة تستوجب التوقف عندها خصوصا وأننا امام عدو يمتلك قدرات عسكرية كبيرة جدا إضافة الى دعم داخلي وخارجي يحميه ويغطي على انتهاكاته المستمرة.

هذا التعريف البسيط غالبًا ما يقود إلى نتيجة مفادها أن كل ما يتطلبه الردع هو التلويح بقوة دفاعية كافية طالما أن كلا الطرفين يتواجهان وفقًا لحسابات المكسب والخسارة. في المشهد الفلسطيني الحالي، لا مجال للشك في قدرة المقاومة الفلسطينية على اعتماد عنصر المفاجأة في المعركة وهو الذي أصبح أداة وازنة في مواجهة ممارسات العدو وانتهاكاته. لكن هذا الردع وان كان هدفه هو منع الكيان الصهيوني من ارتكاب الحماقات، لكنه يبقى رد فعل دفاعي مرتبط بحالة معينة تفرضها سياسة العدو العدوانية وانتهاكاته. في المشهدية الحالية بدت المعضلة الإسرائيلية كالآتي: ضربات صاروخية دقيقة وموجهة من قبل فصائل المقاومة الفلسطينية في غزة باتجاه مناطق حيوية ومهمة للكيان يواكبها تحرك عرب 48 في شكل مطرد وكأنه يتحرك وفق تنسيق استراتيجي يتماهى مع صواريخ المقاومة التي لم تتوفق في ضرب ليس فقط العمق الاسرائيلي الذي من المفترض انه محمي ومحصن، وانما في احتواء مرابطي الداخل وتشجيعهم على مواصلة المواجهة وعلى كل الجبهات.

بالمجمل يمكن القول إنّ معيار نجاح المقاومة الفلسطينية في المواجهة اليوم، هو افشال محاولة الكيان الصهيوني ردعها من خلال تدفيعها ثمن ما تقوم به من إنجازات، واحباطها وضرب قدراتها والتضييق عليها ومحاصرتها. فالتركيز الأساسي هنا يكمن في معرفة قدرة الإسرائيلي فعليا على ردع المقاومة من خلال الضغط عليها لتتخلى عن خيار المواجهة او ردعها عن ضرب العمق الإسرائيلي او عن تطوير قدراتها العسكرية والتسلح بما يكفي للوصول الى أهدافها.

يبدو جليّا ان العدو يعمل جديا على تحييد اقصى ما يمكن من الأهداف العسكرية، وأيضا تحقيق نتائج ولو على حساب جثث الشهداء، وتحديدا عبر استهداف البنى التحتية والعمرانية فيه لتحقيق ما يصبو اليه من ردع لصواريخ المقاومة. يؤكد الميدان أن الكيان الصهيوني عاجز عن سلب المقاومة إرادة القتال، استنادا الى ادراكه محدودية النتائج التي يمكن أن يحققها على المستوى العسكري، فهو يعمل فقط على تقليص قدرات المقاومة المرتبط بحجم التدمير لهذه القدرات وليس القضاء عليها الذي يبدو أمرا غير قابل للتحقيق، إضافة الى فشل قيادات الكيان في الترويج له ولو إعلامياً.

مع المحافظة على مفهوم الردع الثابت و سيا سته وتفاعلاته سواء بالنسبة للمقاومة الفلسطينية او للعدو، تفرض المتغيرات الحالية مفهوما جديدا يضاف الى مفهوم الردع بعناصره الهامة وتأثيره النفسي، خاصة في مرحلة ما بعد الحرب وتبعاتها وتداعياتها على جميع المستويات، وهو "مفهوم القضم التدريجي" الذي يشكّل الية فعالة أيضا، قادرة على تحقيق الاهداف في مواجهة العدو بمفاعيل بعيدة المدى، والذي يمكن استخدامه بشكل افضل واكثر حيوية، لأنه يحدد بشكل دقيق الغاية الواقعية لسلوك المقاومة الاستراتيجي، فالردع المتنازع عليه في ظل المواجهة ليس هو المقصد الرئيسي في الحرب الجارية حالياً ومثيلاتها من الحروب، بل الغاية الواقعية الممكنة والقابلة للتحقق بشكل واضح هي قضم يتحقق بشكل تدريجي للوجود الصهيوني على مستويات وفي مجالات مختلفة.

يمكن تشخيص المسارات العملياتية للمقاومة الفلسطينية الجارية حالياً بالآتي:

1- توحيد الصف الفلسطيني والتلاحم والتكامل بين فلسطينيي الداخل (48) والضفة الغربية وقطاع غزة لخلق جبهة موحدة قادرة على التصدي لكل محاولات التشتيت والفصل والتمييز.
2- التحرك الاستباقي من خلال استخدام العمليات العسكرية الخاصة والطائرات بدون طيار لتنفيذ عمليات في عمق الكيان، وتنفيذ العلميات الخاصة النوعية.
3- الاستفادة من انتفاضة المقدسيين وعرب 48 واحتواءها أي التعبئة العامة بشكل يخدم المرحلة المقبلة من الصراع حتى تكون بداية حقيقية لاختراق منسق لكل مراكز القوة لدى العدو ولو بشكل تدريجي قادر على احداث تغيرات حقيقية واستغلال حالة الارباك والتشتت في الجبهة الداخلية للعدو.
4- الاستفادة من المعادلة الجديدة التي أعلنتها المقاومة والتي تقول بانّ" انتهاك المقدسات وتهجير الناس من بيوتهم تنفيذا لمشروع تهويد القدس سيجابه بالصواريخ"، لتكون مدخلا لاستراتيجية ذكية تعتمد على سياسة الهجوم الدقيق والفاعل لتحويل وجهة الصراع من الدفاع الى الهجوم لتغيير المعادلات.
5- التخطيط بشكل منسق لكيفية اختراق المفاصل الحساسة للعدو من خلال تنفيذ عمليات امنية او عسكرية اعتمادا على أدوات نافذة وحساسة لإحداث شرخ داخل المنظومة الأمنية والعسكرية الإسرائيلية.
6- التركيز أكثر على الدور الهجومي الدقيق لضرب كل عناصر القوة لدى العدو من خلال الاختراق الأمني والعسكري والاجتماعي والاقتصادي وعلى جميع المستويات وفي فترات مختلفة.
7- استغلال حالة الارباك والصراع التي تعيشها الجبهة الداخلية الإسرائيلية لتفعيل الهجمات التي تستهدف المفاصل الحساسة والحيوية القادرة على التأثير بشكل مباشر على مقومات القوة لدى العدو والتي تشكّل تهديدا حقيقيا على أمنه القومي والوجودي.

8- الدور الذي سيلعبه عرب 48 في المرحلة المقبلة والذي يجب ان يكون أكثر اتساقا بأهداف المقاومة العسكرية ورافدا لها في الداخل لتحقيق مشروع " كسر القوة وتشتيت الجبهة" لدى العدو.

تعمل هذه المسارات في التمهيد لتحقيق القضم التدريجي، وهو مفهوم يتجاوز الردع بمفهومه الدفاعي ولو اعتمد على القوة، ليكون استراتيجية عمل متكاملة قادرة على تخطي سياسة رد الفعل عن فعل قام به العدو، ليصبح فاعلا أصليا ثابتا ودقيقا قادرا على تحقيق الأهداف بعيدة المدى والمتمثلة في ضرب منظومة الامن القومي الإسرائيلي واختراق مفاصلها وتدمير ادواتها الذاتية والخارجية.

تعتمد فلسفة الردع على سياسة حمائية للبيئة الداخلية للمقاومة لكنها تبقى غير كافية وغير متكافئة مع قدرات العدو نسبياً. فما واجهته غزة من حروب متتالية في السنوات الأخيرة، خاصة أمام إمكانيات العدو أثبت أنّ الردع فاعل نسبي أمام عدوانية شرسة ودمار شامل لكل مقومات البيئة الحاضنة للمقاومة. أمّا فلسفة القضم الاستراتيجي بعيد المدى فتعتمد على الهجوم والمواجهة والحركة الميدانية والمباغتة والاختراق والتنفيذ من جهة، إضافة الى وضع خطط تدريجية لإرباك العدو بشكل فاعل ومستمر من جهة أخرى.

- يستوجب القضم التدريجي بعيد المدى نزع أوراق القوة من يد العدو بمعنى، امتلاك استراتيجية مواجهة ترتقي الى مستوى تحديات المواجهة في المستقبل.
- يتطلب القضم التدريجي ايضا ابتداع نمط خاص بالمقاومة يضع في عين الاعتبار خصائص قدرات العدو ويتلاءم مع مسرح أي عمليات مواجهة مفترضة في المرحلة المقبلة.
- لأن المقاومة الفلسطينية تواجه حربا غير متماثلة مع العدو فمن الضروري ان تسعى لبناء ذراع طويلة قادرة على ضرب العمق الإسرائيلي وتشتيت ادواته على الأرض. ويمكن أن يتحقق ذلك بـ:
  - قضم تدريجي ممنهج لمناطق سيطرة الاحتلال في قطاع غزو والضفة وفي أراضي 48 لا سيما في مراحل ما بعد انسحاب او هروب وتشتت وتخبط ادوات الاحتلال من شرطة وجيش ومستوطنين.
  - اعتماد هذا التكتيك كاستراتيجية متكاملة ضمن سلسلة معارك متواصلة.
  - التبدل المستمر في المواجهات مع العدو في ساحات قتال غير محددة.

- العمل على السيطرة على مناطق نفوذ العدو، أي مناطق جغرافية مركزية والتفرغ للسيطرة على المناطق الجغرافية الأخرى.
- العمل على تجنب الخسائر في صفوف المدنيين وتقليص الدمار الحاصل في البنية التحتية.
- تعني استراتيجية القضم التدريجي سيطرة تراكمية تمكّن المقاومة من السيطرة بشكل تدريجي وبطيء على مساحات المطلوب التقدم والتحرك فيها من خلال ربط الصلة بين مختلف الفاعلين الفلسطينيين المؤيدين لحركة المقاومة في مختلف المناطق والجبهات.
- يحتاج القضم التدريجي الى مقومات كثيرة بعضها لوجستي وبعضها بشري إضافة الى تحصين الساحات بشكل مستمر لكسر سطوة العدو.

مؤشرات نجاح مفهوم القضم التدريجي

- تراجع ثقة المستوطنين وعلاقتهم بالحكومة الإسرائيلية، إضافة الى نظرتهم لاستمرارية العيش في داخل الكيان كبلد امن.
- اضعاف صورة القيادات العسكرية والأمنية والسياسية الإسرائيلية وقدرتها على جمع القبائل اليهودية، وتعميق أزمة القيادات في الكيان.
- زيادة الشرائح الفلسطينية المساهمة في المواجهة بكل الاشكال والصعد.
- تنمية الشعور الفلسطيني الموحد والتلاحم بين الجبهات المختلفة.
- بناء وتنمية الثقة الفلسطينية تجاه إمكانية التحرير والنصر.
- تخريب مشاريع التطبيع من خلال المواجهة المباشرة.